غيـاب الحكمـة عـن (الحكيـم) السـوري

محمد سعيد الصكار
mohammed_saggar@yahoo.fr

ما الذي يتوخاه بشار الأسد من هذا الحصاد الدموي لأبناء بلده؟ ما الذي تريده هذه الدبابات والمدرعات والمصفحات والقناصة والشبيحة من أبناء سوريا في أرجائها المختلفة؟.

وما الذي يقرأه (الحكيم) بشار من هذه الضحايا والخسائر التي تتزايد كل يوم، وتخرب البلد وتمزق كيانه الاجتماعي والاقتصادي والثقافي؟

وماذا يريد من هذه الحشود الصارخة (ارحل !) التي لا يريد أن يسمع صراخها وأصداءها المتعالية في أرجاء الوطن السوري من أقصاه إلى أقصاه؟.

ما الذي سيجنيه من هذا الغضب الصاخب الهاتف برحيله قبل أن يأخذ مكانه في القفص الحديد الذي احتضن زميله المصري من قبل؟

لا حكمة في كل تصورات الرئيس بشار الأسد التي تقوده إلى هذه المهالك التي تدمر بلاده وتمزق شعبه، وتضعضع المنطقة وما يحيط بها.

لا حكمة وليد المعلم، ولا تخريجات بثينة شعبان، ولا نفاق الحلفاء الموقدين لنار الفتنة والخراب وهم بعيدون عنها؛ بل ربما كان هذا بيت الداء؛ فهم ينفضون عن كتفه غبار الكارثة ويموّهون له واقع الحال، وهم عارفون بأن ساعة الصفر ستلحق بهم وبه، وتذهب بالجميع إلى حيث لا رجعة ولا مهرب من عين الشعب الثائر الذي لا يبرئ منهم أحداً.

أما كان ما خسرته سوريا في هذه الحرب الرعناء على بلد آمن متألق، عشر معشار ما يتقضيه تحرير الجولان الذي يهرفون بتحريره مثلما هرفوا، وما يزالون، باستعادة لواء الاسكندرونة؟!

أما كان لسوريا أن تتحرر من ضغوط حلفائها الراكبين على أكتافها، وتخطط لمستقبلها، و بناء كيانها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وترميم ما انهدم منه، بمعزل عن التواطؤات السياسية التي لم تأت لها بنفع غير غزو حماة وحمص ودير الزور واللاذقية، ومعرة النعمان، وغيرها من أرض سوريا المباركة؛ وإحالة معالم جمالها إلى ركام!

عندما تغيب الحكمة عن الحكيم، في معالجة الكوارث، لا يبقى غير العناد، والإيغال في التدمير، بلا رحمة ولا وعي بمآل الأمور. والواضح أن درب الحكمة بعيد، وأقرب منه ما ينظف سوريا من وحل الحكم و (الحكيم)!

تعليقاً على البيان المنشور في المدى

مـثـقـفـون يـخـطـبـون ودّ بـغـداد الـفـتـاة

المدى الثقافي

نشرت المدى بتاريخ ٦-٨- ٢٠١١ بيانا كتبه الناقد عبد الخالق كيطان حول فكرة تأسيس جمعية بغداد الفتاة والتي أشار فيها إلى أن أعضاء هذه الجمعية لا يفكرون بسلطة سياسية بل جلّ محاولتهم تريد التأكيد على أهمية المبادرة المجتمعية، وأهمية النهوض بالمدينة العراقية وثقافتها في ظل طبقات الخراب المتراكمة. محاولتنا تريد صنع وجه صاف للبلاد، ورسم صورة قوامها الجمال والإنسانية. وقد توالت التعقيبات والردود على هذه المبادرة من قبل العديد من المثقفين على صفحات الصحف اليومية وعلى مواقع التواصل الاجتماعي نقف عند البعض منها.

الإعلامي احمد المهنا يرى في المشروع انتصاراً لفكرة المثقف الحر في بعض الجوانب النظرية والعملية:

من حيث المبدأ فان عمل المثقف في كل مكان وزمان هو الإنتاج: أي قضاء أطول وقت ممكن خلف الطاولة او في المشغل للتفكير والتأليف والابتكار. ان " المبادرة الاجتماعية" الخاصة بالمثقف تتمثل بتلك التآليف والإبداعات التي تخرج من إنسان منعزل نحو الجمهور، الناس، او الفضاء العام اذا شئت. لكن في اوقات معينة لا يبدو ان ذلك كاف، بل ربما لاح وكأنه شيء من البطر. انه ليس كذلك قطعا، ولكن هكذا يبدو الامر في اوقات المحن والأزمات مثل هذه التي نعيشها. وإنني معك في فكرة ان يجتمع عدد كبير من المثقفين والإعلاميين المتنورين في جمعية محددة الأهداف، تعرف بالضبط ماذا تريد، والى اين يمكن ان تمضي، وماذا يمكن ان تحقق.

ان جوهر المشروع يتمثل بالانتصار لفكرة المثقف الحر، وهذا هو بالضبط ما يستهويني فيه لأنه بالنسبة إلي رأس الهوى، على إنني اختلف مع البيان في جوانب نظرية وأخرى عملية. من الجوانب النظرية ان المثقف معني بالخوض في كل ما يدور بمجتمعه وبالتالي فان عليه الوقوف عند اي طروحات حزبية او قومية او دينية او طائفية، بقصد تحليلها وفهمها في إطار وظيفته المبدئية وهي تنمية الحرية. وقد استغربت من العبارة القائلة "لسنا معنيين في بغداد الفتاة بأي طروحات حزبية..الخ".ولكننا يا عبد الخالق ماذا نكتب وعم نتحدث ولمن نتصدى اذا لم نخض في مثل هذه الموضوعات؟ عبارة أخرى وردت في البيان ترفض فيها " اي مساس بمعتقد او دين او هوية طائفية او قومية"؟

أرى ان هذه العبارة إشكالية او تنطوي على شيء من سوء الفهم. فقد يفهم منها انها تعتبر نقد الافكار " مساسا" شأنه شأن التعامل بالقوة مع الأفكار

ولذلك أرى ان تشطب مثل هذه العبارة. إنني من المؤمنين بأن التفكير الحر يبدأ عمله الحقيقي من نقد المقدس، او من فهمه فهما عقلانيا، وهذا لا يكون إلا بعد نزع هالة القداسة عنه. ولقد أوجز ماركس مسيرة التحرر الفكري بهذه العبارة: إن نقد الفكر الديني هو النقد المهد لكل فكر. النص أيضا ضد الحزبية وهذا يعد موقفا ضد الديمقراطية نفسها، اذ لا ديمقراطية دون أحزاب.

أما ما يتعلق بالجانب العملي فإنها ككل عمل تطوعي تقبل الدعم، إذا رأته مفيدا لعملها: هل تعترض اذا دعمتها بمليون دولار ام تقول ينرادلها بخت وتحصل دعم؟!

كما ان للجمعيات المدنية أنظمة داخلية فيها الرئيس والمحاسب والا تريدها جماهيرية مثل القذافي! اعرف ان وراء رفض المناصب الخوف التقليدي ولكن يمكن الاحتياط لذلك بنظام داخلي يمنع الاستحواذ على الكراسي. عدا ذلك فإنني معك نظريا وعمليا في كل ما ورد في النص ويبقى في ظني انه يمكن اعتماد قيم معينة تخص الجمعية نفسها بالدفاع عنها،ويصبح الدفاع عن تلك القيم ممثلا لأهداف الجمعية الأساسية،وأعني قيم الليبرالية الممثلة خصوصا بحرية التفكير، حرية التعبير، التسامح، الخلاف، قدرة العقل، قوة الأفكار، قداسة الفرد.

الناقد محمد غازي الأخرس يرى إن محاولة إحياء المكان كبنية فوقية لاتتم من دون تغيير للبنية التحتية حيث يقول:

رائعة هي الدعوة التي أطلقها عبد الخالق كيطان من أجل تأسيس جمعية باسم " بغداد الفتاة " ، هي دعوة رائعة لا لأن الهدف منها إحياء المدينة وبعث روحها التي تنوي حسب بل لأن صديقنا ينتمي لشريحة المثقفين ، ودعوته تأتي لتثبت ، مرة بعد أخرى ، أن بعض هؤلاء الأخيرين ربما الوحيدون اليوم الذين يفكرون نيابة عن مدينتهم البائسة حيث مرافق الحياة المدنية مفقودة والخراب الروحي يعم الصوبين. لكن مهلا أيها الأصدقاء فالمدينة ، أي مدينة ، إنما هي وجه للمجتمع ، ومحاولة إحيائها كمكان دون الانتباه لأصل المشكلة سيكون عبثا في عبث ذلك أن المشكلة تكمن في الجماعات لا في الأمكنة وفي النسيج لا في الحيز . من المستحيل إصلاح بنية فوقية ما أو تغييرها ما لم تتغير البنية التحتية . هذه قاعدة ماركسية عظيمة قد لا يعترف بها المثقف الحالم لكنها قاعدة حتمية لا يمكن تجاوزها . أنت تريد تجميل بيت ما ، من حقك ، لكن عليك أولا فهم النسق الثقافي والقيمي الذي يحكم سكان هذا البيت. هل هم مهيأون لنمط التغيير الذي تحلم به ؟ هل يتوافق التغيير المنشود مع قيمهم الحالية ؟

أعرف ما سيقوله البعض اعتراضا . سيقولون أن مهمة المثقف تكمن هنا ، أي في تغيير تلك القيم وتثويرها ومن ثم تهيئة الأجواء لتجميل البيت الذي نسكنه . هذا هو المفترض مع نمط المثقف العضوي الذي نزعم جميعا أننا نمثله ، أقصد حين يندرج المثقف في حاضنته ويمتزج بها امتزاج الملح بالماء ، وهو ما يؤدي إلى وضوح فاعليته وبروزها ومن ثم شدة تأثيرها .

فيما يرى المسرحي أحمد شرجي ضرورة صنع شيء أكثر عمقا لإحياء بغداد، قائلا:

أنا فهمت القضية بشكل آخر ، هو العمل معاً داخل (بغداد الفتاة) لعمل مشروع تنويري، مشروع ثقافي، وقد لانحصل على نتائج الآن لكننا نعلن عن وجودها والعمل على ديمومتها. الموضوع ليس نشر صور، أو قصائد ، إقامة... أماسي شعرية هنا وهناك. علينا ان نصنع شيئا أكثر عمقا لإحياء بغداد. واذا كان هدف المجموعة إقامة أماسي شعرية، أو عرض مسرحي ، أو معرض تشكيلي، فالأحرى بنا أن نفعل الجمعيات الثقافية غير مسيسة أو المؤدلجة.

لهذا أقدم بعض المقترحات من اجل بغداد الفتاة:

• تكوين مدرسة بغداد للسيمياء: على غرار مدرسة باريس ، براغ، موسكو،كوبنهاكن. البحث عن رمزية المكان ودلالته الاجتماعية عن طريق البحث العلمي الرصين. ونبدأ أولا من "بغداد" ،دراسة لهجاتها ، أزيائها. إخضاع أحيائها للبحث السميولوجي ، زمانيا ومكانيا.على حد علمي لم نسمع عن هكذا مشروع في مدينة عربية.

• تفعيل البحث العلمي وخاصة البحوث التي تهتم بالجانب الانثروبولوجي البنيوي.

• دراسة التحولات الاجتماعية للمجتمع العراقي ، المفردات اللغوية وشيوع استخدامها بعد كل تغير سياسي في البلد.

• ساهمت الحرب العالمية الثانية بثورة معرفية تنويرية مهمة في باريس، حتى أصبحت باريس حاضنة مهمة لمعظم الثورات المعرفية.لماذا لانسعى لتكون بغداد منبرا معرفيا؟

الشاعر زعيم نصار يقول:

لم يعد يجدي نفعاً ذلك الانتظار القاسي الذي تمارسه النخب الثقافية العراقية منذ نصف قرن وأكثر من الزمان. انتظار فرضته بالدرجة الأساس التغيرات السياسية التي ظلت على الدوام تحدّ من آفاق العمل الثقافي وتضع حدوداً وتصنع سجوناً للعاملين في الثقافة لكي يكتمل مشروع تلك التغيرات السياسية، فلا يكون من خاسر غير الثقافة نفسها ووجه مدينتنا.

يتساءل الفنان مقداد عبد الرضا عن كيفية الوقوف بوجه الخراب الذي يحيق بالمدينة قائلا:

يغرقنا الحنين ،، أعرف ،، أنا من الذين يغرقني أيضا ... لكن الذي وجدته في بيان جمعية بغداد ليس هذا كما أفهم .. الذي أظنه هو ما الذي يجري الآن .؟. هذا الكم الهائل من الخراب كيف يمكن الوقوف ضده ، أو في الأقل التنويه عنه ... شخصيا ،،،،، دون ادعاء .... امتلك من الصور عن بغداد والبلاد الكثير ..وأعرف قصصا لاحصر لها . لكن كما أحسب ان ليس هذا هو المطلوب.

قناديل

كيف نحيا في مجتمع متعدد الثقافات؟

المختلف وتدمير ثقافته وكتبه

■ لطفية الدليمي

٢

في كتابه المهم (التاريخ العالمي لتدمير الكتب) يقول فرناندو بياز (إن ثمة خطأ فادحا نرتكبه جميعا عندما نحصر تدمير الكتب بالجماعات الجاهلة المنفلتة في الحروب والثورات والأحداث التراجيدية)، فبعد اثنتي عشرة سنة من البحث والتقصي والدراسة خلص بياز إلى أن أكثر الأمم والأفراد ثقافة وتعلما هم الأشد شراسة وعنفا مع الكتب والثقافة المختلفة حتى لتبدو الجماعات الجاهلة غاية في البراءة مقارنة بهم..

يقول في مقطع عن ثقافة التدمير : (ثمة وفرة من الأمثلة عن فلاسفة وعلماء لغة ومثقفين بارزين بروا تدمير المكتبات لأغراض تتعلق بمواقف فكرية ودينية وسياسية) فما هو اختلافهم عن الجماعات الجاهلة التي تحرق لأنها لا تفهم؟؟.

ففي مصر القديمة جمع الفرعون اخناتون المؤمن بالتوحيد جميع الكتب الدينية التي سبقته ليفرض ماكتبه عن عبادة الإله اتون. ويحدث هذا في عصرنا ، وفي القرن الخامس قبل الميلاد قاضى الاثينيون الديموقراطيون المتصوف بروتوغوراس بتهمة الالحاد وأحرقوا كتابه (عن الآلهة) في محرقة عامة ، و حسب رواية ديوجينس ليريتوس كاتب سيرة افلاطون، افلاطون الذي أوصى بإقصاء الشعراء من جمهوريته الفاضلة، (أن افلاطون حاول إحراق كتب ديموقريطوس ثم قام بحرق قصائده هو عندما إلتقى سقراط ، ولم يتردد شخص متسامح مثل (ديفد هيوم) الفيلسوف البريطاني ان يطالب بمنع وحظر جميع كتب الميتافيزيقا، وفي سنة ١٩١٠ نشر المستقبليون بيانا دعوا فيه إلى تدمير جميع المكتبات وفنون الماضي وتراث الامس.

وفي ١٩٦٧ احرق الشعراء الكولومبيون من جماعة ناديستا رواية ماريا لجورج ايزاك واعلنوا ضرورة تدمير الماضي الأدبي للامة ، كيف لشعراء ان يفعلوا ذلك؟ كيف لمثقفين ان يصدروا حكم الاعدام على (رأي) في كتاب وهم يعلمون ان الثقافة تراكمية ولاتنوجد من فراغ؟، جوزيف غوبلز نعرفه جميعا كارها خطيرا للثقافة والكتب وهو الذي نظم في ١٩٣٣ المحرقة النازية الكبرى للكتب في ساحات برلين ، وفي ١٩٣٩ قام مسؤولو مكتبة سانت لويس العامة في الولايات المتحدة بمنع كتاب (عناقيد الغضب) لجون شتاينبك واحرقوا نسخه علانية امام الجماهير (....) وحتى لحظتنا هذه لايزال التدمير المتعمد للكتب يطغى على جميع الاحداث الخسيسة في عالمنا وسواء كان الكتاب المدمر الواحا سومرية او مخطوطات اسلامية او كتبا ماركسية أو كان كتبا عبرية او كونفوشيوسية، فان المشكلة في الموقف العلني لهؤلاء الذين يدمرون الكتب لانها تخالف ثقافتهم –ونعثر على مثالهم في جميع الثقافات القديمة والمعاصرة .حيث يقسم معظم البشر عالمنا إلى (نحن) و(هم)، و من الطبيعي ان نكون (نحن) الأفضل والأجدر بالحياة فنحن من يستحق البقاء وسوانا لهم الجحيم!، وبتطبيق هذا المعيار في الغاء الآخر، تمارس الرقابة والشوفينية والعنصرية والطائفية الإنكار الدائم لحقوق وثقافات الآخرين .

عندما مات انتوني كومستوك سنة ١٩١٥ انزاح كابوس الرعب عن الكتّاب وأصحاب المكتبات وعشاق الكتب في أمريكا،فقد عرف كومستوك بكونه الرقيب المروع الذي أقام محارق لأطنان من الكتب على امتداد الولايات المتحدة حين حكم على الكتب والمطبوعات بالحرق من وجهة نظر محضة أخلاقية دينية ،وكان لتشدده وعدم اعترافه بأي فكر مختلف عما يؤمن به مسوغه الوحيد للتدمير، وكان يملك يقينا راسخا مفاده أن الشيطان يسيطر على عقول الأدباء والكتاب وأن رسالته الدينية في الأرض تنحصر في القضاء على هذا الرجس ، ولم يثنه شيء عن شن حربه الصليبية الأخلاقية على الكتب والكتّاب حتى نهاية عمره.

لطالما احتقر كومستوك كتابات جورج برنارد شو الكاتب الاشتراكي البريطاني وكرهه أكثر عندما صاغ شو مفردة (الكومستوكية) وشاعت في العالم الغربي كتعبير عن قطاعة الرقابة المفرطة التي سعى كومستوك لفرضها على المطبوعات بعمله على استصدار قانون أقره الكونغرس سنة ١٨٧٢ يفرض ارسال نسخة الى البريد من كل كتاب يصدر لمراقبته من وجهة نظر أخلاقية و تقرر إدارة البريد حسب تعليمات كومستوك حظر الكتاب او السماح بتداوله ، وكان معروفا عن كومستوك تفاخره بعدد الأدباء الذين دفعهم للانتحار حتى قيل أن عددهم تجاوز الاثني عشر كاتبا منتحرا، وظل قانون كومستوك ساريا لعقود طويلة واستفادت منه الحملة المكارثية إلى أقصى الحدود وبموجبه تم منع كتاب (عناقيد الغضب) لجون شتاينبك و حظر كتاب (عشيق الليدي تشاترلي) في ١٩٥٩ من قبل دائرة البريد!.

ان قتلة الفكر المختلف يكشفون عن انحطاط السلوك البشري و الدوافع الخفية وراء تدمير الكتب وثقافة الآخر وهو سلوك عنيف و منحرف موجه ضد الفكر و حق الفئات المختلفة في إظهار منتجها الثقافي ، إذ يعتقد بعض أعداء الكتب والثقافة المختلفة أن حرق كتب الآخرين وتدمير ثقافتهم ،شعيرة للتطهير والتكريس ومحو الآخر ، وبالتدمير يظهر لنا ان هناك نزعات كامنة في أعماق الشخصية الإنسانية ترى ان القوة الخالدة للكتب تكمن في كونها مستودعا للمعرفة البشرية وذاكرتها، فيصبح تدمير كتب الآخرين ممن نختلف معهم او حتى الذين لا نفهمهم تعبيرا عن إلغاء ذاكرتهم وإطفاء حضورهم في مهرجان التاريخ الصاخب.

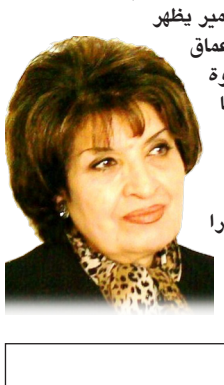

متابعة

في اتحاد الأدباء .. عبد الواحد محمد يفنّد علاقة التداولية في علم العلامات

محمود النمر

ضمن منهاجه الثقافي ضيّف اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين، قامة عراقية ترجمية وعلمية كبيرة،د.عبد الواحد محمد للحديث عن مفهوم (التداولية والمجتمع).

قدّم الجلسة الناقد والمترجم مزاحم حسين بالقول : رغم الفجيعة التي ألقت بظلالها على كل الأشياء ،مازال مبدعونا يتواصلون ويواصلون نتاجاتهم وإبداعاتهم ،ومازالت قاماتنا العلمية الرائعة في الميدان الثقافي ، نحن اليوم أمام قلعة من قلاع الترجمة الأخيرة ، للحديث عن موضوعة التداولية والمجتمع ، هو المصطلح المترجم (البراغماتية) لقد عرفه الكثير من علماء اللغة ،لكن ما يتناوله اليوم هو كشف هذا المفهوم وعلاقته باللغة .

ثم تحدث د. عبد الواحد محمد في ورقته المعنونة (التداولية والمجتمع) عن تطور اللغة والكلمات والمعاني وكيفية استخدامها لدى الشعوب ، وهي علم متصل بين لغات العالم ،تتطور وتأخذ استخدامات ومعاني أخرى ربما من حين لآخر ،ولها تفاسير كثيرة متوالدة في كل مجتمع وفي كل لغة .

وقال د.عبد الواحد محمد : في ثلاثينيات القرن العشرين نحت الفيلسوف واللغوي تشالرزمورس الاستخدام الحديث لمصطلح التداولية (البراغماتية bragmatics). وفي البداية كان ينوي رسم حدود (علم العلامات semiotics) وعندما استقصى هذا العلم ميّز في ثلاثة علوم فرعية هي،النحو (syntax): الذي يدرس العلاقات بين علامة وأخرى .

علم الدلالة: الذي يدرس العلاقة بين العلامات والأشياء مثلا أن الأسماء تدل على أشياء بعينها ودلالة الأسماء تختلف من لغة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر.

التداولية : التي تدرس علاقة العلامات بالمفسرين او المؤلفين ،وتتعامل مع رسالة الخطاب والكلمات المفردة ،إنها تدرس المعنى في نطاق أوسع في الدلالة أو المعاني ،ومحليا إنها تدرس العلاقة بين اللغة وسياقها في الرسالة المبلغة، بتسليط الضوء على المقصود في تلك الرسالة .

وأكد الشاعر محمد حسين آل ياسين في مداخلته حول موضوعة التداولية :أن كل فقرة من فقرات المحاضرة يمكن أن تتحول إلى بحث مفصل والى محاضرة مستقلة ،لها محاور متعددة أراد بها أن يختصر الكلام في كل محور منها ،سواء ما كان متعلقا بنشأة اللغة التي أشار إليها أم بالتعاون مع الأصوات كما تحدثنا الآن ،أم بالموضوعات الدلالية والنحوية الأخرى ،وسأكتفي بالإشارة إلى فكرة النظرية نفسها ،دائما عندما نتحدث عن انجاز الغربيين من فكر ونظريات ننسى أن نشير إلى أن أسلافنا العرب عرفوا أشياءً من هذه الفكرة وأشاروا اليها ونظروا لها، بل وفي بعض الأحيان أنضجوها .

وتناول الناقد علي حسن الفواز مفهوم التداولية وقال إنها تثير الأسئلة، أسئلة تتعلق بفكرنا الثقافي والنقدي وآلية استعمالنا لما هو جديد في الثقافة. واحدة من المشكلات العميقة في الثقافة العربية الإسلامية ،هي أنها ضعيفة في الجانب الاستعمالي ،يعني القمم الثقافية الاستعمالية ضعيفة لذلك تصنع لها الثقافات نخباً معينة من مجتمعات معينة، وبالتالي فان هذه النخب هي التي تظل تستعمل هذه العلوم والمعارف وتتداولها في ما بينها وكأنها غير قادرة أن ترحل هذه المفاهيم وهذه الأسئلة والطروحات إلى الفضاءات الأخرى .

وأشار د. صادق محمد أستاذ اللغة الفرنسية في كلية اللغات إلى تطور اللغة والتداولية والترجمة ،وهنا السؤال الذي أود أن اطرحه على الأستاذ عبد الواحد،وهو ما علاقة التداولية بالترجمة؟،وهل ممكن أن تعوض عن اللغة-التداولية-؟،وهناك معنى سلبي ومعنى ايجابي للكلمة،ففي اللغة العربية عندما تطلق كلمة-كلب- لها معنى سلبي ،ولكن اذا قلتها في المجتمع الأوربي الغربي ،لها معنى كبير ،وكلمة الشمس التي طالما نتجنبها من الحر ،ولكنهم في أوروبا حينما تشرق الشمس يكون لها معنى آخر لأنهم لا يعشقون الشمس التي لا تشرق في بلدانهم دائما فهي ذات وقع خاص بهم .